رسالة التّوابع والزّوابع لابن شهيد الأندلسيّ وميثاق القراءة السّاخرة

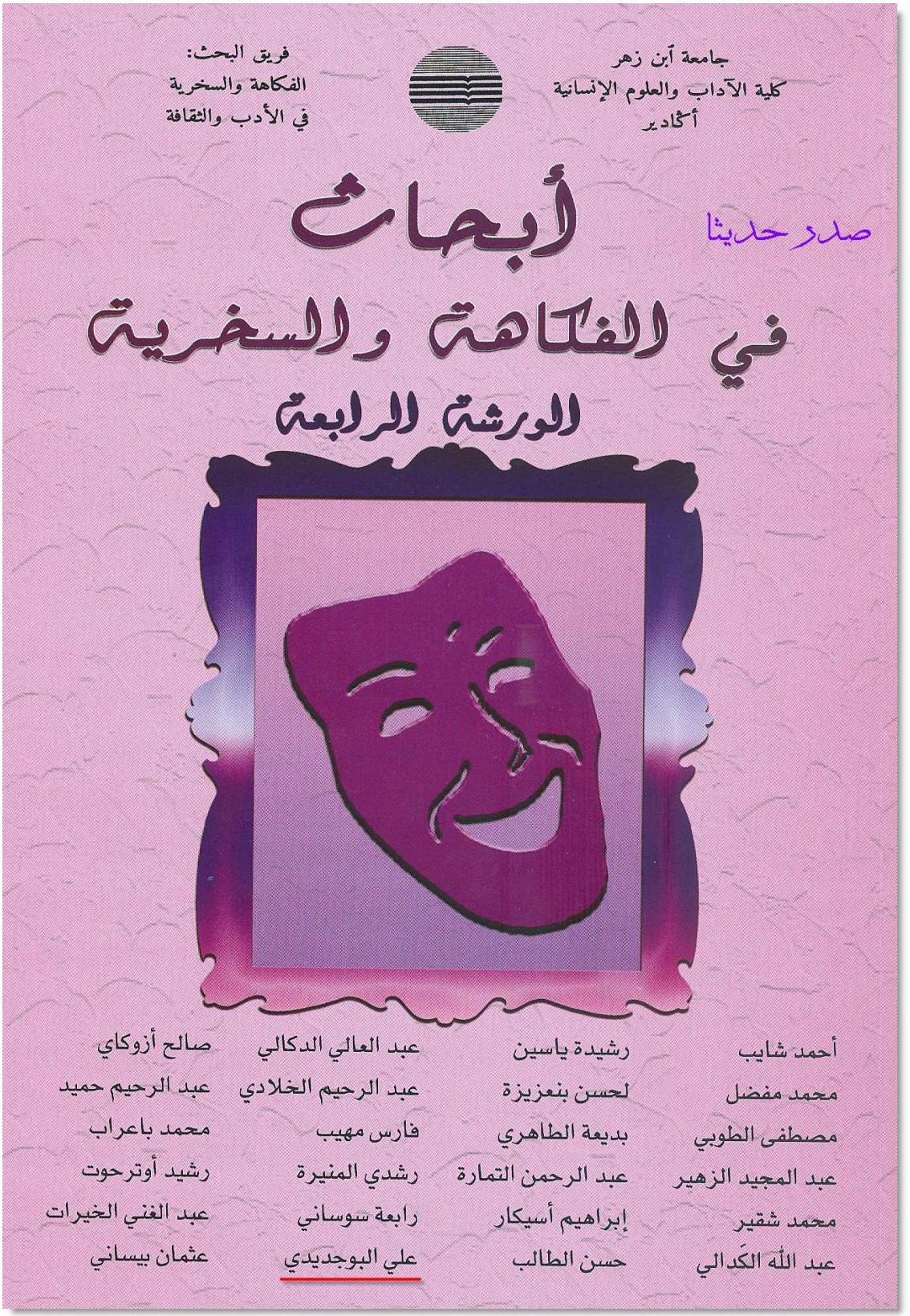

محتويات الكتاب

تقديم 7

جدلية السخرية والبناء السردي في رواية: "الحرب في بر مصر"

د. بديعة الطاهري، كلية الآداب، أكادير..... 11

المضحك في خطب ولية سوسية

ذة. رابعة سوساني 20

قراءة لرواية الطاهر وطار: الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء؛ صدمة الأبوكاليبس ولذة السخرية

محمد مفضل، جامعة شعيب الدكالي، الجديدة..... 36

مهرج الملك، أو الضحك والسلطة؛ قراءة في رواية: "قط أبيض جميل يسير معي"

د. عبد الرحمن التمارة 52

"رسالة التوابع والزوابع" لابن شهيد وميثاق القراءة الساخرة

علي البوجديدي، الجامعة التونسية..... 65

المضحك في المجون والغزل بالمذكر من خلال ديوان شاعر الحمراء محمد بن إبراهيم المراكشي

د. أحمد شايب، كلية الآداب، أكادير..... 82

المضحك في شعر المتنبي

د. مصطفى الطوبي، كلية الآداب، أكادير..... 87

سخرية التضاد والمفارقة المجازية في كافوريات المتنبي

ذ. إبراهيم أسيكار 102

الضحك مراتب ومقامات

د. صالح أزوكاي، كلية الآداب، أكادير..... 120

الفونولوجيا المضحكة: من القيود النحوية إلى المقاصد التواصلية

د. عبد المجيد الزهير، كلية الآداب، أكادير..... 125

عن المضحك في الترجمة

د. حسن الطالب، كلية الآداب، أكادير..... 141

السخرية لدى يهود المغرب

د. عبد الرحيم حيمد، كلية الآداب، أكادير..... 151

السخرية والسلطة؛ النكتة السياسية نموذجا

د. محمد شقير، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء..... 174

في بنية النص الساخر؛ مقاربة لنصوص المشاهب

د. عبد العالي الدكالي، كلية الآداب، أكادير..... 188

الفكاهة والمرح؛ مقاربة تواصلية

ذ. محمد باعراب 192

شعرية الهزل في التراث النقدي والبلاغي العربي القديم؛ الوظيفة والبنية

ذ. عبد الله الكُدالي 210

خطاب السخرية في الكتاب المدرسي بين المقرر القديم والمقرر الجديد

(كتاب اللغة العربية بالثانية باكالوريا نموذجا)

د. عبد الرحيم الخلادي 225

مهازل القداسة؛ أنثروبولوجيا الضحك والمقدس في النص الثقافي الإسلامي (2/2)

ذ. رشيد أوترحوت، كلية الآداب، أكادير..... 232

"رسالة التوابع والزوابع" لابن شهيد وميثاق القراءة الساخرة

علي البوجديدي
الجامعة التونسية

تمهيد

لم يعد خافيا ما للسخرية من أهمية في تجديد دراسة الأدب قديمه وحديثه، لِمَا لها من وطيدِ صلةٍ بالمباحث البلاغية والتداولية والحجاجية، فقد كشف آلان بيروندوني في كتابه *عناصر التداولية اللسانية*[1] عن أبعاد الخطاب الساخر التداولية، أو ما يمكن أن نحدده بمقامات القول ومقاصده. فالسخرية والحال هذه، عملٌ في اللغة وبها. إنها عملٌ شفّاف، يستعير في اشتغاله بأساليب موارِبة، جاعلا من الأسلوب مركز الثقل وقرار النص ومنتهاه. ولأهميتها في دراسة الخطاب عَدَّها محمد العمري من أنواع البلاغات الخاصة[2].

ورأى فيها بيار سكونشاز مكمن الجمالية وعنوان الأدبية. وتتأتى قيمة السخرية الأدبية عنده حين نقوي لبس المجاز الصوري[3]، فإذا بالسخرية رديف الأدبية. وهو ما يسمح لنا أن نقول أن السخرية هي صيغة غير مباشرة، كتومة[4] تراهن على عدول معاني متناقضة. ولهذا رأى الباحث أن دروب السخرية، هي دروب مغلّفة «بأغشية الضباب الكثيف»[5].

كما أن تعدد المقاربات الدقيقة وتنوعها، بل وجِدّة بعضها، تمنع من تصور تعريفٍ جامعٍ مانعٍ للسخرية. غير أن هذا المفهوم الغائم كان قادرا، ومنذ استخدامه على يد

(1) راجع (Alain Berrendonner) في كتابه:
Elément de pragmatique linguistique, Ed. Minuit, Paris, 1982.

(2) محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ط. 1، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، 2005. الفصل الثاني، ص. 81.

(3) Ambiguïté allégorique.

(4) Dissimulateur.

(5) راجع (Pierre Schoentjes)، في كتابه: *Poétique de l'ironie*, Seuil, Paris, 2001 ، ص. 10.

الرومانطيقيين أن يتطور وأن يتأقلم مع الظروف المتقلبة في عوالم الأدب. وبإيجاز فإن هذه الطبيعة المتبدلة التي كثيرا ما ذمّها الباحثون، هي التي تفسر نزعة السخرية المعاصرة المتجددة[6]. ولكن لكي يبقى مصطلح السخرية مفهوما معاصرا، ويواصل تقديم خدماته للقارئ، «يتوجب أن لا يجهل هذا القارئ تقاليد الفكر الكبرى التي تدين لها السخرية. كما لا يمكنه أن يتغافل عن أهم الظواهر التي علقت بمفهوم السخرية طيلة تاريخه»[7].

السخرية و تجديد درس ابن شهيد

وانطلاقا من هذا المهاد النظري، اخترنا أن نَلِجَ عالم الأدب الأندلسي من زاوية مخصوصة، هي زاوية الأدب الساخر. وقد وجدنا بعد تقليب النصوص أن السخرية حاضرة في إبداع الأندلسيين نثرا وشعرا، نجدها حاضرة في نصوص المقّري[8]، وفي ما جمع ابن بسام (ت. 542هـ) صاحب الذخيرة، بل هي مَيْسَمُ رسالة التوابع والزوابع[9] المميَّز، يُقِرُّ بذلك كلُّ من تناول الرسالة بالدرس قديما وحديثا. فهذا الحميديّ (ت. 448هـ) يقول عن

(6) راجع (Pierre Schoentjes)، نفسه، ص. 10.

(7) نفسه، ص. 10.

(8) عقد المقّري فصلا أسماه: روح الفكاهة عند الأندلسيين قال فيه: «ولأهل الأندلس دُعابةٌ وحلاوةٌ في محاوراتهم، وأجوبةٌ بديهيةٌ مُسْكِتَة، والظرف فيهم والأدب كالغريزة، حتى في صبيانهم ويهودهم، فضلا عن علمائهم وأكابرهم». (راجع المقّري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، ط. 2، بيروت، دار صادر للنشر، 1997، ج 3، ص. 381).

ومن النصوص اللافتة نص: الجارية العجفاء، ج 3، صص. 141-142. وكذا نص: الزهري الأعرج، ج 3، ص. 383. وكذا نص: المعتمد والشيخ الكثير التهكم. وقد وصف الشيخ بالقول: «شيخ كثير التهكم والتندر، يمزج ذلك بانحراف يُضحك الثكلى». ج 4، ص. 127.

(9) كُتبت رسالة التوابع والزوابع في الربع الأول من القرن الخامس الهجري. وهي عبارة عن قصة رحلة خيالية قام بها ابن شهيد صحبة تابعه زهير بن نمير إلى أرض الجن حيث ألتقى بمن شاء من الشعراء والكتاب في أشخاص توابعهم، واستنشدهم شعرهم، وسمع منهم نثرهم، كما أنشدهم من شعره وقرأ عليهم من نثره، فحضر مجالس الجن الأدبية. أما العنوان فيجد البعض من تفسيره في المعجم، فقد جاء في اللسان: «التابِعةُ: الرَّئِيُّ من الجن.. والتابعة: جنيّة تتبع الإنسان»، أما الزَّوْبَعةِ فهي: «الرّيح المعروفة، والزَّوابعُ الدّواهي. والزَّوْبَعُ والزَّوْبَعةُ: ريحٌ تدور في الأرض لا تَقْصِد وجْهاً واحداً، تَحْمِلُ الغُبار وترتفع إلى السماء كأنه عمود، أُخِذَت من التَّزَبُّع. وصِبْيَانُ الأعراب يكنّون الإعصار أبا زَوْبَعة، يقال فيه شيطان مارد. وزَوْبَعةُ: اِسم شيطان مارد، أو رئيس من رؤساء الجن، ومنه سمّي الإعصار زَوْبَعَة».

واضح من خلال المادة المعجمية أن المقصود إذن هو هيجان الشيطان الذي يُلْهِمُ الشاعر الشعر كما ورد في معتقدات العرب القدامى. (راجع: ابن منظور، لسان العرب، مادتي: ت. ب. ع، ز. ب. ع).

كتب ابن شهيد (ت. 426هـ)[10]: «وكُتُبُه نافعةٌ كثيرةُ الهزل»[11].

وهذا ابن بسام في الذخيرة يقول: «إنْ هزلَ فسجع الحمام، أو جد فزئير الأسد الضرغام»[12]. وينقل لنا رأي أحد معاصريه ابن حيّان (ت. 987هـ) فيقول على لسانه: «وكان في تنميق الهزل والنادرة الحارة أَقْدَرَ منه على سائر ذلك»[12].

وأما في العصر الحديث، فلم يَخْلُ كتابٌ من الكُتُب التي تناولت أدب ابن شهيد من الإشارة العابرة إلى طابع النص الساخر، وإنْ لم توفه حَقَّه من الدرس، ولم تتناوله بطول الدراسة المفردة[13].

فمن الإشارات التي نجدها في دراسات المحدثين ما يقوله عمر سعيدان مقدِّم رسالة التوابع والزوابع، في تقديمه لآثار ابن شهيد، يقول: «ترك لنا ابن شهيد آثاراً نثريةً.. تصور لنا ميله *للهزل والسخر*، وحبه للنكتة والنقد»[14]. بل شَبَّهَ نثر ابن شهيد بنثر

---

(10) انظر ترجمة ابن شهيد (وُلد 382هـ/ 922م، توفي 426هـ/ 1035م) في وفيات الأعيان لابن خلّكان، ج 1، ص. 116. وفي جذوة المقتبس للحميدي، ص. 133. وفي بغية الملتمس للضبّي ص. 191، وفي الذخيرة لابن بسام، القسم الأول، الجزء الأول، ص. 191. وكذلك في المغرب لابن سعيد، ج 1، ص. 178. وفي معلمح الأنفس للفتح بن خاقان، ص. 16. وفي المطرب لابن دحية، ص. 147. وفي معجم الأدباء لياقوت الحموي، ج 2، ص. 218. وفي الوافي بالوفيات للصفدي، ص. 7. وفي يتيمة الدهر للثعالبي، ج 2، ص. 35. وفي المسالك لابن فضل الله العمري، ص. 28. وفي نفح الطيب للمقّري، ج 1، ص. 156.

(11) أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ط. 1، مصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966. ص. 127.

(12) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ط. 1، تونس، ليبيا، الدار العربية للكتاب، 1981. القسم الأول، المجلد الأول، ص. 192.

(13) من الدراسات المهمة التي تناولت رسالة التوابع والزوابع بالدرس دراسة رشيد رضا غديرة، السخرية والفكاهة في رسالة التوابع والزوابع، شهادة الكفاءة في البحث بإشراف محمد اليعلاوي، 1978. بيد أن هذه الدراسة قديمةٌ نسبيا، لم يتبلور عند صاحبها المهاد النظري ولا المفاهيم النقدية في مجال دراسة السخرية. أما دراسة عبد العزيز شبيل، "البنية القصصية في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي"، مجلة حوليات الجامعة التونسية، (تونس)، العدد 29، سنة 1988، فهي وإن نعت على النقاد إهمالهم جوانب الطرافة في الرسالة، فإنها أغفلت الإشارة إلى السخرية باعتبارها من مقومات البنية القصصية فيها. وأما دراسة الشاذلي بويحي، ابن شهيد الأندلسي: حياته وشعره ونثره، ط. 1، تونس، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، (د. ت.). فعلى أهميتها، فقد اكتفت بالتنصيص على وجود السخرية في الرسالة دون أن تجري المفهوم على النص، وربما يرجع ذلك إلى طبيعة الكتاب ذاته، الذي جاء في التعريف بابن شهيد حياته وشعره ونثره، لا في قراءة نص التوابع تحديدا قراءة ساخرة.

(14) ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، تقديم: عمر سعيدان، ط. 1، تونس، مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر، (د. ت.)، ص. 6.

الجاحظ «في ميله للهزل والفكاهة»[15]. ولذا عدّ السخرية ميزته في الكتابة، حين لم يكن «يركن للعبارة المفضوحة أو العارية»[16].

وهذا الرأي يكشف عن بُعْدٍ من أبعاد الرسالة نروم نحن في هذا المجال تسليط بعض الضوء عليه، وهو عمل يندرج في إطار ما وطّنّا العزم على الاهتمام به في أعمالنا الجامعية، وعملنا على الكشف عن خباياه في آثار مفردة متنوعة[17].

التوابع والزوابع وميثاق القراءة الساخرة

وحتى نلمّ *بميثاق القراءة الساخرة*، العقد الذي يربطنا بالنص، نلج نص **التوابع** من خلال عتبته. ذلك أنه «لا يمكن للباب أن يكون بدون عتبة، تُسلمنا العتبة إلى البيت، لأنه بدون اجتيازها لا يمكننا دخول البيت»[18] كما يقول **سعيد يقطين**. والسؤال الذي يحيّرنا في هذا المقام هو كيف يمكننا قراءة العنوان باعتباره نصا قابلا للتحليل والتأويل يناصّ نصه الأصلي؟[19]، خاصة وأن رسالة **التوابع والزوابع** تسمى أيضا شجرة الفكاهة. يقول **الحميدي** عن الشيخ الذي خاطبه **ابن شهيد** برسالة **التوابع** هو: «يحي بن حزم أبو بكر، شيخ من شيوخ الأدب.. وهو الذي خاطبه أبو عامر بن شهيد برسالة **التوابع والزوابع** التي يسميها **شجرة الفكاهة**»[20].

ولعل هذا الاسم الآخر الذي تخيّره **ابن شهيد** لرسالته لهو بمثابة دعوة تحفّز الدارس الحالي لأن يلج نص الرسالة. وهذا العنوان دالٌّ وهو ذو وظيفة. لأن العنوان كما يقول **لوي هويك** في كتابه **سمة العنوان**: «هو مجموعة العلامات اللسانية من كلمات وجمل.. قد تظهر على رأس النص لتدل عليه وتُعَيِّنه، وتشير لمحتواه الكلي، ولتجذب جمهوره المستهدف»[21].

(15) إبن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، تقديم: عمر سعيدان، ص. 7.
(16) نفسه. ص. 8.
(17) إهتممنا بالسخرية، حين أعددنا رسالة ماجستير بعنوان: السخرية في أدب علي الدوعاجي: تجلياتها ووظائفها، وقد صدرت ضمن سلسلة عيون عن دار الأطلسية للنشر. ط. 1، 2010.
(18) عبد الحق بلعابد، عتبات: جيرار جينيت من النص إلى المناص، ط. 1، لبنان، الدار العربية للعلوم، ناشرون، 2003. ص. 13.
(19) راجع في هذا الصدد: الأزهر الزنّاد، نسيج النص، ط. 1، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، 1993.
(20) أبو عبد الله محمد الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ط. 1، مصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966. ص. 351.
(21) راجع: سمة العنوان للوي هويك:
Loe Hoek, *La marque du titre : dispositifs sémiotiques d'une pratique textuelle*, Ed. la Haye mouton, Paris, 1981, p. 17.

هكذا يكشف العنوان الفرعي المجهول الذي أُسقط من حساب الرواة، وٱنْتُبِذَ أثناء الرواية، عن بُعْدِ الرسالة الساخر، ويشير بِطَرْفٍ خَفِيٍّ إلى ضرورة التنبه أثناء قراءتها، بما يجعلها «أقرب إلى الهزل منه إلى الجد»[22].

ويبدو أن **ٱبن شهيد** قد ٱستوحى عنوانه ذاك من عنوان كتاب **السرقسطي**[23]. وما إبدال **ٱبن شهيد** لعنوان كتاب **شجرة الحكمة** بـ*شجرة الفكاهة*، إلا ما يشي بميثاق القراءة الساخرة الذي أشرنا إليه في البداية. فبين الشجر والفكاهة علاقاتٌ وطيدةٌ حسيةٌ وروحيةٌ جماعها معنى «السعادة في بُعْدَيْهِ الدنيوي والمقدس. والفكاهة في متن التوابع تتعلق بالبيان وتتولد عنه»[24].

لقد تولدت الرسالة من أصداء نصوص سابقة لها، ألم يَقُل **ٱبن رشيق** (توفي نحو 456هـ): «الكلام من الكلام وإنْ خفيتْ طُرُقُه، وبَعُدَتْ مناسبه»[25]. وكانت ٱستجابة لسنن الكتابة في مزجها بين الجد والهزل مزجا دشنه **الجاحظ** (ت. 255هـ) خير تدشين. و**ٱبن شهيد** يجلّ **الجاحظ** مركز القوم، بل «هالة مجلسهم»[26]، ويتشوف للقائه ومجالسته. لذا كثيراً ما قارن معاصروه نثره بنثر **الجاحظ** و**سهل بن هارون**. يقول صديقه **ٱبن حزم** عنه: «ولنا من البلغاء أحمد بن عبد الملك بن شهيد صديقنا وصاحبنا، وهو حي بعد لم يبلغ سن الاكتهال. وله من التصرف في وجوه البلاغة وشِعابها مقدار يكاد ينطق فيه بلسان مركب من لسانَيْ عَمْرو وسهل»[27].

ولعل في قيام رسالة **التوابع والزوابع** على المزج بين الجد والهزل ما يندرج في ما أقره القدامى. يقول **حازم القرطاجني** (ت. 684هـ) في **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**: إن من «أراد أن

---

(21) سليم ريدان، السرد في الأفق الأندلسي: مداخل وتحاليل، ط. 1، تونس، شركة أوريبس للطباعة، 2000. ص. 60.

(22) ألف صاعد بن مكرم السرقسطي كتاباً في الفلسفة عنونه: شجرة الحكمة. غير أن ٱبن شهيد أبدل لفظ الحكمة بلفظ الفكاهة، وما في ذلك من دلالة عميقة على البعد الساخر للنص.

(23) سليم ريدان، السرد في الأفق الأندلسي: مداخل وتحاليل، ص. 88.

(24) ابن رشيق، قراضة الذهب، تحقيق: الشاذلي بويحيى، ط. 1، تونس، الدار التونسية للنشر، 1972. ص. 150.

(25) ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، تقديم: عبد العزيز شبيل، ط. 1، تونس، شركة فنون الرسم والنشر والصحافة، (د. ت.)، ص. 36.

(26) المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، ط. 2، بيروت، دار صادر للنشر، 1997. ج 3، ص. 178.

يُلِمَّ بشيء من الهزل، أن يتلطف في التدرج من الجد إلى الهزل، وأن يشعر بأن ما ألَمّ به من ذلك شيء لا حقيقة له،وإنما هو من جهة المزح والدُّعابة ليبسط بذلك النفوس ويحرك»[28]

فالمزح مطلوبٌ مرغوبٌ فيه، لأنه يحرِّك النفوس ويبسطها، وذلك لأن الكثير من «معاني الهزل تحرك ذا الجِدّ وتطربه»[28]. ويستشهد حازم في ذلك بسقراط (ت. 470 قبل الميلاد) الذي قال في هذا الصدد: «حكاية الهزل لذيذة سخيف أهلها، وحكاية الجد مكروهة، وحكاية الممزوج منها معتدل»[28].

وفي الهزل طرافة ومتانة، كما في الجد طرافة ومتانة، يقول حازم القرطاجني في هذا: «وقد تأخذ الطريقة الجدية بطرف من الرشاقة، كما تأخذ الطريقة الهزلية بطرف من المتانة»[29].

وهكذا قامت رسالة ابن شهيد جامعةً بين الطريقة الجدية والطريقة الهزلية، وهما المتداخلتان كما يرى حازم. بل قامت الرسالة إضافة إلى غرضها الأصلي على بث «الفكاهات ونثر الطرائف وإيراد الدعابة»[30].

ومن عتبات النص الذي لم يصلنا كاملا وإنما وصلنا عن طريق ابن بسام[31]، أن الرسالة التي بين أيدينا قد امتدت إليها أيادي الرواة، ولا نعلم على وجه التدقيق ما يكون قد حُذف منها. بل ما أدرانا أن ما حُذف هو ليس من الخطاب الساخر؟!

الواضح أن ابن بسام قد عمد إلى ابتسار الرسالة وقطعها، يقول في هذا الباب بما يكشف عن عتبات النص الخفية: «وامتد بأبي عامر في هذا الباب، ومد فيه أطناب ***الإطناب والإسهاب***، فلذلك ***وقفتُ*** دون الغاية، ***وقطعتُ*** قبل النهاية»[32].

---

(28) حازم القرطاجنّي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ط. 3، لبنان، دار الغرب الإسلامي، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، 1986. ص. 330.

(29) نفسه. ص. 329.

(30) إبراهيم موسى حاسر السهيلي، تجديدات الأندلسيين في النثر العربي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير إشراف: عبد البصير عبد الله حسين، المملكة العربية السعودية، جامعة أمّ القرى، 1987. ص. 63.

(31) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ط. 1، تونس، ليبيا، الدار العربية للكتاب، 1981 القسم الأول، المجلد الأول، من ص. 191 إلى ص. 336.

لم يسلم أدب ابن شهيد من التلف ولم يصلنا منه إلا النزر القليل، فلم ينج من التلف إلا ما أورده الثعالبي في يتيمة الدهر، وما أثبته ابن بسام في الذخيرة نقله عن ابن حيان غالبا.

(32) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص. 278.

وهذا الإعمال جعل الرسالة في بنيتها الحالية رسالة منقوصة، لم يصلنا نصها الكامل، ولذلك نرى جدوى دراستها من زاوية الأدب الساخر، لأن ذلك يراعي غايات الكتابة وطرائق إنتاج الدلالة، ويكشف عن رهافة أسلوب **ابن شهيد**، ومدى إضافته للأدب العربي عموما.

التوابع والزوابع لوحات ساخرة

وإذا ما تحولنا من العتبة إلى النص ألفينا **ابن شهيد الأندلسي** وهو يبدع عمله، ويشكل نسيج كلماته، إنما كان يبني في الآن نفسه عوالم نصه «محاكيا بناءات موجودة أو مبتدعة، في نطاق الممكن النوعي، طرائق جديدة في تنظيم بنياته النصية»[33]. لذلك وجدناه يتخير الفرصة في لقائه الخطباء مجتمعين، لكي يعرض عليهم نماذج من نثره كما عرض على الشعراء من قبلهم نماذج من شعره. وتتكشف أنياب الساخر، وتظهر جلية من خلال موقفه من تابع **بديع الزمان الهمذاني** (ت. 398هـ) «**زبدة الحقب**»، الذي حاول أن ينال منه ويحقر من شأنه حين قال: «هذه نكتة بغدادية، أنّى لك بها يا فتى المغرب؟»[34].

وهو قول يعكس، إلى حد بعيد، نظرة المشارقة إلى أدباء المغرب. فالرسالة من هذه الناحية تجسد رفض هيمنة المشرق، ووصايته على الإبداع المغربي، وذلك بإبراز ما أسماه الشاذلي بويحي «الشخصية الأندلسية في الأدب»[35]. وليكشف الساخر عن تلاعبه بالشخصية المسخور منها، يصف ردة فعله. فما إن أتم **ابن شهيد** وصف الماء، حتى «ضرب زبدة الحقب الأرضَ بِرِجْلَيْه، فانفجرت له عن مثل بَرَهُوت»[36]. واستخدام الحكاية الدينية بَرَهُوت[37] له دلالته وأبعاده الساخرة. فإذا كانت برهوت الأصل رمز العمق وكثرة الماء، فبرهوت الفرع رمز الضحالة والجدب.

---

(33) عبد الحق بلعابد، عتبات: جيرار جينيت من النص إلى المناص، ط. 1، لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2003. ص. 14.

(34) ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص. 69.

(35) الشاذلي بويحي، ابن شهيد الأندلسي: حياته وشعره ونثره، ط. 1، تونس، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، (د. ت.)، ص. 215.

(36) ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص. 70.

(37) جاء في اللسان أن برهوت هو «وادٍ معروف، قيل: هو بحَضْرَمَوْتَ. وفي حديث عليٍّ عليه السلام: شَرُّ بئرٍ في الأرض بَرَهُوتُ.. بئرٌ عميقةٌ بحَضْرَمَوْتَ، لا يُسْتَطاعُ النُّزولُ إلى قَعْرِها». راجع: إبن منظور، لسان العرب، مادة: ب. ر. هـ.

ويزداد الموقف سخرية ويتحول المشهد بِرُمَّتِهِ إلى موقفٍ ساخرٍ حين يعمد إلى مسخ ردّ فعل الهمذاني، إمعانا في التحقير من شأنه وإيغالا في الحط من قدره: «وتدهدى[38] إليها، واجتمعت عليه، وغابت عينُه، وانقطع أثره. فاستضحك الأستاذان من فعله»[39].

هكذا أظهر ابن شهيد من خلال جولته في عالم الشعر والنثر التوقير والإكبار لامرئ القيس (ت. 565م) وأبي تمام (ت. 231هـ)، وأبي نواس (ت. نحو 198هـ)، وأبي الطيب المتنبي (ت. 354هـ)، والجاحظ، وكان يظهر علانية الاستخفاف بالبحتري (ت. 897هـ) وعبد الحميد الكاتب، وبديع الزمان الهمذاني.

كما كان ابن شهيد يحقّر معاصريه، فها هو يصور واقعه، فيقول في هجاء ساخر: «عدمتُ ببلدي فرسان الكلام، ودهيتُ بغباوة أهل الزمان»[40]. ويشتد نقده لعلماء اللغة والنحو، على غرار ما نستشفّه من محاورته الساخرة لأنف الناقة تابعة غريمه أبي القاسم الإفليلي (ت. 441هـ)[41] حين شوّه خِلقته، وجعل تابعه من سكان خيبر اليهودية، وسماه باسم أنف الناقة، وصوّره قائلا: «أشمط ربعة *وارم الأنف* يتضالع في مشيته»[42]. لقد بالغ ابن شهيد في وصف القامة والأنف والمشية، مُستخدماً الوصف الكاريكاتوري الساخر الذي قام على الوصف التشويهي، وهو نوع من التضخيم والتوغل في التشويه الحسي[43].

---

(38) يقال: «دهدهه: قلب بعضه على بعض.. تدهدى الحجَرُ وغيره تَدَهْدِياً إذا تَدَحْرَجَ». راجع: ابن منظور، لسان العرب، مادة: د. هـ د. هـ

(39) ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص. 70.

(40) نفسه، ص. 59.

(41) نفسه، ص. 65.

(42) هو أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكرياء القرشي الزهري المعروف بالإفليلي. وهو الذي عرّض به ابن شهيد. يقول عنه ابن بسام: «بَذَّ أهلَ زمانه بقرطبة في علم اللسان العربي، والضبط لغريب اللغة وكان غيوراً على ما يحمل من ذلك الفن، كثير الحسد فيه، راكبا رأسه في الخطإ البيّن إذا تقلّده أو نسب فيه». (راجع في هذا الصدد: ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، صص. 310-311).

(43) من الثابت أن مصطلح كاريكاتير دخيل على اللغة العربية، واستُخْدِم لأول مرة في مجال السخرية بالتعبير الخطي والرسم والنحت. ولم يستو لفظ الكاريكاتير مصطلحا دقيقا إلا في نهاية القرن السادس عشر تقريبا. ونحن نوظف هذا المصطلح في الكلام على ضرب من ضروب القول مخصوص. فقد يشّع الساخر من خلقة شخصياته ويشوّه أخلاقهم تشويها فنيا، ويكون ذلك «بكلام يحرّف أكثر مما يعرّف، ويُغرب أكثر مما يُعرب ويتحامل أكثر مما يتعاطف». (راجع: عامر الحلواني، أساليب الهجاء في شعر ابن الرومي: مقاربة أسلوبية في جمالية القبح، ط. 1، صفاقس، مطبعة التسفير الفني، 2002. ص. 39).

جعل موصوفه وارم الأنف مثلا، فذلك لخدمة المقصد الأسنى من التصوير الكاريكاتوري. ذلك أن الوصف الكاريكاتوري «لا يبلغ النهاية في الكمال والغاية في الجمال، إلا إذا قام على *مبدإ التضخيم والتشييء والتسكين*»[44].

لقد أقام وصفه ذاك على «تشويه خِلقة المهجو.. بما يُنشئ له صورة مُثلى للقبح النفسي والذهني، ويلفت الانتباه إليه ويحقق السخرية منه والضحك عليه»[45]. فحتى المناظرة التي أقامها بينه وبين خصمه، إنما هي مناظرة غريبة، دعاه فيها **ابن شهيد** أن يصف برغوثا[46] وثعلبا[47]، وهما من أحقر الحشرات وأمكر الحيوانات بالإنسان. فأي مناظرة هذه التي يُزمع الدخول فيها؟ وأي جمالية تروم تحقيقها؟

هكذا يرفع **ابن شهيد** بالخصم إلى حالق. يعظم من شأنه في البداية حتى إذا ما أمعن وسُئِل فأفحم، ينزل الخصم من عليائه، ويرميه رميا ويذبحه بسلاح السخرية الذي لا يرحم، حينها تنقلب الصورة ويغدو الأصل فرعا، والفرع أصلا، ويظفر **ابن شهيد** بالإجازة وينال الأجر مضاعفا. ولذا فالمشهد الساخر الأشد قسوة وإيلاما، إنما ذاك الذي ينتج من الانقلاب الفجائي، انقلاب تزول فيه المراتب وتندحر سلالم القيم.

يبدأ الساخر وصف **الإوزّة الأدبية** ممجِّداً، وينهيه مقبِّحاً منفِّراً من شدة حركة الإوزّة وكثرة اضطرابها. لذا يرسم **ابن شهيد** صورة الإوزّة في المرحلة الأولى، وقد شارفت على الاكتمال، فهي كما يقول: «إوزّة بيضاء شَهلاء في مثل جثمان النعامة، كأنها دُرَّ عليها الكافورُ، أو لبستْ غِلالةً من دمسقِ الحرير»[48]. فصورتها صورةٌ بارعةٌ في الحسن، إيغالٌ لوناً وحَجْماً ورائحةً وهنداماً. بيد أنه سرعان ما يعمد إلى تشويه صورة الضحية/ الهدف، ويسارع إلى مسخ حسنها، بإفراغه من موصوفاته الإيجابية، فإذا حركتها حركة ذهاب واضطراب. وهو ما دعاه إلى أن يصورها في صورة ساخرة، وهي في جيئةٍ وذهابٍ وإقبالٍ وإدبارٍ لا يستقرُّ لها قرار. يقول في شأن اضطرابها ذاك: «لم أر أَخَفَّ من رأسها

(44) عامر الحلواني، أساليب الهجاء في شعر ابن الرومي: مقاربة أسلوبية في جمالية القبح، ص. 43.

(45) نفسه، ص. 63.

(46) قال في معرض السخرية والتحدي: «قلت: حتى تصف بُرغوثا». إبن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص. 66.

(47) قال في ختام المحاورة: «وحتى تصف ثعلبا فتقول..». إبن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص.68.

(48) نفسه، ص. 93.

حركة.. *تثني* سالفتها، وتكسر حدقتها، *وتلولب* قَمَحْدُوَتَهَا»[50]. وهو يحشد لذلك معجما مخصوصا قصد به الحركة [تثني، تكسر، تلولب]، في علاقتها بأعضاء الجسم الموصوف [سالفتها، حدقتها، قَمَحْدُوَتَهَا]. ويزداد الوضع تدهورا لينقلب المشهد بِرُمَّتِه فجأة، يقول: «ثم ترفّعت، وقد أعترتها خفّةٌ شديدةٌ في مائها، فمرَّةً *سابحة*، ومرَّةً *طائرة* تنغمس هنا وتخرج هناك»[49]. لقد قوّى المعجم المستخدم من معنى الخفة الشديدة، حين يفصّلها: [سابحة/ طائرة، تنغمس/ تخرج].

وما يزيد الموقف سخرية إسمها، «تسمى العاقلة، وتكنى أمّ خفيف»[50]. وهي تابعة شيخ «من مشيختكم... وهي ذات حظ من الأدب»[53]. وبين العاقلة وخفيف ما بينهما من طباق بين الاسم (العاقلة) والكنية (أمّ خفيف)، وهو تضادّ بين المظهر والمخبر!؟

ومن ألوان السخرية في رسالة التوابع والزوابع، إستخدام المشاهد الساخرة، من ذلك تصويره عانة البغال والحمير في حركتها وأضطرابها يقول: «أشرفنا على قرارة غنّاء تفترّ عن بركة ماء، وفيها عانة من حُمُر الجن وبغالهم، قد أصابها أولقُ[51]، فهي تصطكّ بالحوافر، وتنفُخ من المناخر، وقد أشتد ضُراطها، وعلا شحيجها ونُهاقها»[52]. وإذا ما تأملنا اللوحة السابقة أمكننا أن نرسم الجدول التالي:

المكان	الفواعل	حركة الفواعل	أصوات الفواعل
قرارة غنّاء تفترّ عن بركة ماء	فيها عانة من حمر الجنّ وبغالهم	أصابها أولق: جنون ووثب تصطك بالحوافر	تنفخ من المناخر اشتدّ ضُراطها علا شحيجها ونُهاقها

وتتفجّر السخرية أنفجار القنبلة الموقوتة في نهايات لقاءات أبن شهيد بتوابع من يلقاهم من الشعراء والخطباء، فإذا النهاية عقاب ساخر لكل من سوّلت له نفسه على إزراء شعره أو نثره، أو التقليل من موهبته في عالم الواقع. فهذا فرعون بن الجون «جنيّ كأنه هضبة لركانته وتقبّضه»[53]، بدأ الهجوم «مسدِّداً سهامه يُحَدِّق فِيَّ دونهم، يرميني بسَهْمَيْنِ نافِذَيْن»[53]،

(49) إبن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص. 94.
(50) نفسه، ص. 93.
(51) جاء في اللسان: «الأَلْقُ والأُلاَقُ والأَوْلَقُ: الجُنون.. إِمْرَأَةٌ أَلْقَى..: هي السريعة الوَثْب». (راجع: إبن منظور، لسان العرب، مادة: ء. ل. ق.).
(52) إبن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص. 90.
(53) نفسه، ص. 80.

بأن شهيد منه يستعيذ، ومن شرّه يستطير: «أَلُوذُ بطَرَفي عنه، وأستعيذ بالله منه»[58].

بدأ القول ساخراً محقِّرا، فكان الرَّدُّ بالمثل إمعاناً في السخرية ورَدّاً بالمثل: «فقال لي لما انتهيت، وقد استخفّه الحسد: على من أخذت الزّمير؟ قلت: وإنما أنا نفاخ عندك منذ اليوم؟»[58].

هكذا تتكشف المواجهة ساخرة من خلال هذه الملاسنة الكلامية وتزداد عمقا من خلال ثنائيات الطلب والاستجابة، والاستخبار والإخبار، والامتحان والنجاح في الامتحان، ليكون الانبهار ويزدادُ العُجب: «ففتح عليّ عينيه كالماويّتين»[54]، بل يتقاصر ويغدو الخنفساء هيئة وحقارة: «ثم قلّ واضمحلّ، حتى إن الخنفساء لتدوسه، فلا يشغل رحليها»[55].

وهنا تتحوّل الصور في رسالة التوابع والزوابع إلى مشاهد ولوحات ساخرة. تتكثف حينا وتضعف حيناً آخر. وقد بدا لنا من خلال إعادة قراءة النص ومداومة النظر فيه أن بؤرة الرسالة وعمقها الساخر، إنما جاء في موضع وصف الإوزّة الأدبية، رغبة من الساخر أن ينال من غريمه الإفليلي المدافع عن النحو والمتمسك بالفصاحة الكاذبة، عطراً من شأنه، مشوِّها خِلقته.

ولئن حضر الوصف الساخر في الرسالة، وكان ميثاق قراءتنا للنص، فقد حضر إلى ذلك الحوار الساخر، وهو حوارٌ «يلائم شخصيةَ كُلٍّ من المتخاطِبَيْن بلهجته ومحتواه»[56]. في حوار ابن شهيد مع تابعة غريمه أبي القاسم الإفليلي يعمد إلى أسلوب تجاهل العارف[57]، وهو ما أمكنه أن يفضح من خلاله تهافت خصمه ووضاعة شأنه. وبهذا تنقلب السخرية موجهاً في مثل هذا الموضع من الرسالة، بل تغدو تحقيرا نابيا، وبذلك تتحول عن وظيفتها الأصلية وتنحدر من إضفاء الأدبية على النص إلى تصفية الحسابات الواقعية داخل أسوار النص.

وينفلت السارد من حُصون الأدب إلى معارك الواقع، حين يقول على لسان أحد فِتْيَان

---

(54) ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص. 85.

(55) نفسه، ص. 87.

(56) الفاضلي بويحيى، ابن شهيد الأندلسي: حياته وشعره ونثره، ص. 220.

(57) يقول أحمد خالد أن العرب القدامى قد مارسوا أفانين: «الفكاهة والدعابة والهزء والإضمار وتجاهل العارف، والمواربة والتلميح والتعريض والإبهام والهجاء بما يشبه المدح، والمدح في معرض الذم، والهزل الذي يراد به الجد والتورية والتوشيح والإرداف والتهويم والإلغاز والتصوير الساخر واللفظ باللعب، واللعب النحوي والرمز واللغز والظرف والسخف». (راجع: أحمد خالد، "في فن التهكم وأبعاده الإنسانية"، مجلة الحياة الثقافية، (تونس)، السنة 25، العدد 117، 2000. ص. 4).

الجن متحدِّثاً عن غريمه الإفليلي: «إنه على عِلاَّتِه زير عِلْم، وزنبيل فَهْم، وكَنَف رواية»[58]

ونحن نشدِّد على دلالة المعجم المستعمل [زير، زنبيل، كنف] وجرسه الإيقاعي ولفظه النابيّ، لأننا نقر هنا أن السخرية عند ابن شهيد ليست حِلْيَةً تضاف إلى النص، بل هي على العكس من كل ذلك «إستراتيجية الإحباط واللامبالاة وخيبة الأمل، ولكنها في الوقت نفسه، تنطوي على جانب إيجابي.. إنها *سلاح هجومي فعّال*. وهذا السلاح هو الضحك، لكنه ليس الضحك الذي يتولد عن الكوميديا، بل الضحك الذي يتولد عن التوتر الحاد، والضغط الذي لابد أن ينفجر»[59]. ولكن لسائل أن يقول أي ضغط هذا الذي عرفه ابن شهيد وهو الفتى المنعَّم المُتْرَف، سليل المجد والمقام الرفيع؟

لئن وُلد ابن شهيد بقرطبة وبها نشأ «في أسرةِ مَجْدٍ وثراءٍ يَنْعم برعاية المنصور بن أبي عامر وذويه»[60]. واندفع منذ شبابه الأول في حياة اللهو والمتع والبطالة. فقد تعرّض أثناء خلافة بني حمّود بقرطبة إلى مِحَنٍ أدَّتْ به إلى السجن زمن يحي المعتلي، فقال في محبسه قصيدته المعروفة بالجحدرية[61] يقول فيها من الطويل[62]:

قَرِيبٌ بِمُخْتَلِّ الْهَوَانِ بَعِيـــدُ يَجُودُ وَيَشْكُـو حُزْنَـهُ فَيُجِيـدُ

ويقول أيضا فيها في نوع من الشكوى الساخرة:

وَقُلتُ لِصَـدَّاحِ الْحَمَامِ وَقَـدْ بَكَـى عَلَى الْقَصْـرِ إِلْفاً وَالدُّمُـوعُ تَجُـودُ

أَلاَ أَيُّهَـا الْبَـاكِي عَلَى مَـنْ تُحِبُّـهُ كِلاَنَـا مُعَنَّـى بِالْخَـلاَءِ فَرِيـدُ

وتجاوب الجدران والأبواب الحديدية لشكواه:

وَمَا زالَ يَبْكِينِـي فَأَبْكِيـهِ جَاهِـداً وَلِلشَّـوْقِ مِـنْ دُونِ الضُّلُـوعِ وُقُـودُ

إِلَى أَنْ بَكَى الْجُدْرَانُ مِنْ طُولِ شَـجْوِنَا وَأَجْهَـشَ بَـابٌ جَانِبَـاهُ حَدِيـدُ

وفيها يقول واصفا الأيام القلّب:

---

(58) إبن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص. 73.

(59) سيزا قاسم، "المفارقة في القص العربي"، مجلة فصول، (مصر)، العدد 68، شتاء، ربيع 2006. ص.106.

(60) الشاذلي بويحي، ابن شهيد الأندلسي: حياته وشعره ونثره، ص. 26.

(61) الجحدرية: نسبة إلى جحدر، وكان قاطع طريق بأرض اليمن، فشدد الحَجَّاجُ في طلبه حتى ظفر به وحَبَسه. فنظم في سجنه قصيدة جميلة يرثي فيها نفسه ويستعطفه، فعفا عنه.

(62) إبن شهيد الأندلسي، ديوان ابن شهيد الأندلسي، جمعه وحققه: يعقوب زكي، ط. 1، القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1990. ص. 41.

أَلاَ إِنَّمَا الأَيَّامُ تَلْعَبُ بِالْفَتَى نُحُوسٌ تَهَادَى تَارَةً وسُعُودُ

وقد أُصيب آبن شهيد في آخر حياته «بمرض الفالج أو بضيق النفس والنفخ.. وقد ضجر وسئم الحياة وتمنى الموت، بل وخامرته فكرة الانتحار للتخلص من آلامه»[63].

لقد صادفت هذه المحن والمصائب تنكّراً من أدباء زمانه، وتحقيرا لشأنه، فما كان منه إلا أن توسل بأكثر وسائل اللغة إيلاما، وأقدرها على النيل من خصومه. توسل بالسخرية، لأن معركته مع خصومه هي بالأساس «معركة هوية أدبية»[64]. لذلك وظّف آبن شهيد السخرية بعد أن آستهلك جميع وسائل الإقناع الأخرى.

لنقل قول سيزا قاسم أن السخرية هي «آستراتيجية قول نقدي ساخر، وهي في الواقع تعبير عن موقف عدواني، ولكنه تعبير عير مباشر يقوم على *التورية*.. حيث إنها أقل من الأشكال البلاغية التي تشبه الاستعارة في ثنائية الدلالة»[65].

وبما أن السخرية آستراتيجية عدوانية، فهي تُستخدم «في نهاية المطاف عندما تفشل كل وسائل الإقناع، وتُستهلك الحُجَج، ويخفق النقد الموضوعي، فعندئذ تظل.. هي الطريق الوحيد المفتوح أمام الاختيار»[68].

وما دام ذاك هو خيار **آبن شهيد**، فلا أقلّ من أن يحقق آنتصاره الكاسح على أهل زمانه، ولكنه هذه المرة يغدو الانتصار مضاعفاً يشهد له به **الجاحظ** و**عبد الحميد الكاتب**، وهما مَنْ هُمَا شأناً في دنيا الأدب. يشهدان **لآبن شهيد** بالإجازة شاعرا خطيبا. يقول في شهادته لا أدري هل يمكن أن نقرأه على محمل الجد، أم نحمله محمل السخرية لِمَا له من دلالة في سياق الواقع الذي أشرنا إليه: «وآنفضّ الجمع والأبصار إليّ ناظرة، والأعناق نحوي مائلة»[66].

ونحن نقرأ هذا المقطع النصي على ما فيه من طاقات ساخرة، بِرَدِّه إلى الدواعي الفنية التي دعت آبن شهيد لكتابة رسالته. لقد كتب **التوابع والزوابع**، وفي نفسه ضيق، وفي صدره حرج، وفي حلقه غصّة نتيجة علاقته بمعاصريه. ولكنه لا يكيد في النص لمعاصريه في الزمن فقط، وإنما يكيد لهم من خلال كيده **للبحتري** الذي لا يزال شعره

(63) الشاذلي بويحيى، إبن شهيد الأندلسي: حياته وشعره ونثره، ص. 28.
(64) هاشم العزّام، "المفارقة في رسالة التوابع والزوابع: دراسة نصية"، مجلة جامعة أمّ القرى، (السعودية)، الجزء 16، العدد 28، شوال 1424، ص. 29.
(65) سيزا قاسم، "المفارقة في القص العربي"، ص. 106.
(68) إبن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص. 73.

أنموذج الأندلسيين ومثالهم في قول الشعر، لذلك تعابث به ولم يفارقه إلا وفي نفس البحتري غضب وحيرة، ولم يتركه إلا بعد أن انتزع منه الإجازة انتزاعا.

يقول في خاتمة اللقاء على لسان البحتري: «أجَزْته لا بُورِكَ فيك من زائر، ولا في صاحبك أبي عامر!»[67]. وهكذا لا يسخر ابن شهيد من إبداع عصره، بل يسخر من القالب الذي يشكل الإبداع، وقد تأتّى له بعد أن اشتد عُودُه وعادت إلى نفسه توازنها جراء إجازة القدامى له ووقوفه أمام المحدثين. يبدأ ابن شهيد صغيرا مكانا ومكانة، يُرْتَج عليه ويُفْحَم[68]، بل كثيرا ما ينقطع مسلكه ويخونه الأسلوب[69]، حتى إن الحيصة[70] لَتُصِيبُه في أول لقاء له مع شيطان امرئ القيس وتابعه، بيد أنه سرعان ما يغدو كبيرا متمكنا يناظر منفردا، ويستقطب أنظار المجالس. لقد أمكن لابن شهيد من خلال حواره مع البغلة، أن يكشف لقارئه ما آلت إليه المراتب والمقامات الاجتماعية، وما أصابها من تبدّل وتغيّر. يقول على لسان تلك البغلة: «ومِنْ إخوانك من بلغ الإمارة وانتهى إلى الوزارة»[71].

ومن هنا تسقط جميع الأقنعة عن الوجوه، حين يُكشف عن زيف هذا الارتقاء، إذ «يأخذ التوتر الوجداني للنص بقارئه إلى خارج النص نفسه، ليكشف مناطق أخرى وصلها الفساد السياسي الذي قاد إلى وصول أعداء ابن شهيد إلى مثل هذا الموقع»[72].

الخاتمة

ولا يسعنا في نهاية هذه المداخلة، التي حاولنا فيها المراوحة بين عتبات النص وإشاراته الداخلية أَمَلاً في تلمس ميثاق السخرية في الأثر المدروس، إلا أن نقول أن حلّ شفرة السخرية «يستلزم مهارةً خاصة لفهم العلامة، وهي مهارة ثقافية إيديولوجية

(67) ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص. 47.

(68) يقول ابن شهيد في بداية الرسالة: «فَأَرْتِجَ عَلَيَّ القولُ وأُفْحِمْتُ». (ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص. 33).

(69) يقول ابن شهيد في بداية الرسالة: «وكنت أبا بكر، متى أرتج عليّ أو انقطع بي مسلك، أو خانني أسلوب أنشد الأبيات فيمثل لي صاحبي، فأسير إلى ما أرغب، وأدرك بقريحتي ما أطلب». (ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص. 34).

(70) يقول ابن شهيد في بداية بداية لقائه بتابع امرئ القيس: «ففَهَمْتُ بالحيصة». والحيصة: هي الانهزام والهرب. (راجع: ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص. 33).

(71) ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص. 92.

(72) هاشم العزّام، "المفارقة في رسالة التوابع والزوابع: دراسة نصية"، ص. 39.

يشارك فيها المتكلم والمخاطب»[73].

بل إن السخرية هي بمثابة اللعبة العقلية، لذا فهي «من أرقى أنواع النشاط العقلي وأكثرها تعقيدا، تُستخدم لقتل العاطفية المفرطة وللقضاء على المظهر الزائف، ولفضح التضخيم الفكري. ومن جانب آخر تُمَثِّلُ.. موقفا من التراث الحضاري، حيث تتجه إلى إعادة تقييم التراث الفني الموروث من خلال إعادة صياغته وتشكيله وتفسيره وتحويله»[74].

ونحسب أن آبن شهيد قد أعمل عقله في واقع عصره، وفضح ما عليه مجتمعه من تضخّم فكري، زحزح ثباته تحت سياط السخرية اللاذعة المريرة.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1. الأندلسي (إبن شهيد أبو عامر)، رسالة التوابع والزوابع، تقديم: عبد العزيز شبيل، ط. 1، تونس، المنشورات، مطبعة شركة فنون الرسم والنشر والصحافة، (د. ت.).
2. الأندلسي (إبن شهيد أبو عامر)، رسالة التوابع والزوابع، تقديم: عمر سعيدان، ط. 1، تونس، مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر، (د. ت.).
3. الأندلسي (إبن شهيد أبو عامر)، رسالة التوابع والزوابع، تحقيق: بطرس البستاني، ط. 1، بيروت، دار صادر، 1967.
4. الأندلسي (إبن شهيد أبو عامر)، ديوان آبن شهيد الأندلسي، جمعه وحققه: يعقوب زكي، ط. 1، القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1990.

ثانيا: المراجع العربية

أ- الكتب

1. بافقي (مشاعل بنت عبد الله بن عوض)، مستويات الأداء البلاغي في أدب آبن شهيد الأندلسي، بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في البلاغة والنقد، إشراف: محمد إبراهيم شادي، السعودية، جامعة أم القرى، 2006.
2. بلعابد (عبد الحق)، عتبات: جيرار جينيت من النص إلى المناص، ط. 1، لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2003.
3. بوعجي (الشاذلي)، إبن شهيد الأندلسي: حياته، شعره ونثره، رسالة التوابع والزوابع، ط. 1، تونس، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، (د. ت.).

(73) سيزا قاسم، "المفارقة في القص العربي"، ص. 144.

(74) نفسه، ص. 106.

8. **الحلواني** (عامر)، أساليب الهجاء في شعر ابن الرومي: مقاربة أسلوبية في جمالية القبح، ط. 1، صفاقس، تونس، مطبعة التسفير الفني، 2002.
9. **الحميدي** (أبو عبد الله محمد بن أبي نصر)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ط. 1، مصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966.
10. **خريوش** (حسين يوسف حسين)، أدب الفكاهة الأندلسي: دراسة نقدية تطبيقية، ط. 1، الأردن، جامعة اليرموك، 1982.
11. **خريوش** (حسين يوسف حسين)، رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي: دراسة في الرؤية الأدبية وفلسفة الإبداع، ط. 1، عمان، مكتبة الكتاني، 1990.
12. **خفاجي** (محمد عبد المنعم)، الأدب الأندلسي: التطور والتجديد، ط. 1، بيروت، دار الجيل، 1992.
13. **ريدان** (سليم)، السرد في الأفق الأندلسي: مداخل وتحاليل، ط. 1، تونس، شركة أوربيس للطباعة، 2000.
14. **سليمان** (موسى)، الأدب القصصي عند العرب: دراسة نقدية للقصص القديم، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1983.
15. **سليمة** (عفوني)، رسالة التوابع والزوابع: دراسة سيميائية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الأندلسي، إشراف: براوي سعيد، بتانة، الجزائر، جامعة الحاج لخضر، 2008.
16. **السهلي** (إبراهيم موسى حاسر)، تجديدات الأندلسيين في النثر العربي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، إشراف: عبد البصير عبد الله حسين، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، 1987.
17. **الشكعة** (مصطفى)، الأدب الأندلسي: موضوعاته وفنونه، ط. 4، بيروت، الدار الكتاب اللبناني، 1979.
18. **الشنتريني** (أبو الحسن علي بن بسام)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، ط. 1، تونس، ليبيا، الدار العربية للكتاب، 1981.
19. **عباس** (إحسان)، تاريخ الأدب الأندلسي: عصر سيادة قرطبة، ط. 7، بيروت، لبنان، دار الثقافة، 1985.
20. **عباس** (إحسان)، تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين، ط. 1، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1997.
21. **غديرة** (رشيد رضا)، السخرية والفكاهة في رسالة التوابع والزوابع، شهادة الكفاءة في البحث، بإشراف محمد اليعلاوي، 1978.
22. **القرطاجني** (أبو الحسن حازم)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، ط. 3، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1986.
23. **المقّري** (أحمد بن محمد التلمساني)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، ط. 2، بيروت، دار صادر للنشر، 1997.
24. **الميداني** (أبو الفضل محمد بن أحمد)، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط. 1، مطبعة السنة المحمدية، 1995.

المقالات والفصول

(توفيق)، "جدلية المماثلة والمقابلة في رسالة التوابع والزوابع"، مجلة دراسات أندلسية، العدد 13، سنة 1995.

(محمد نجيب)، "أهمية الألخميادو الموريسكي في المعجم الإيتيمولوجي القشتلي لخوان كورومينياس"، مجلة دراسات أندلسية، (تونس)، العدد 6، جوان 1991.

(نادر)، "تحليل نص من رسالة التوابع والزوابع: إجازة تابع امرئ القيس لابن شهيد"، مجلة التراث العربي، 2009.

(أندريه)، "ملاحظات عن القصة والفكاهة"، مجلة فصول، (مصر)، المجلد 2، العدد 2، يناير، فبراير، مارس 1982.

(ألفت كمال)، "تشكل النوع القصصي: قراءة في رسالة التوابع والزوابع"، مجلة فصول، (مصر)، المجلد 12، العدد 3، سنة 1992.

(سليم)، "في التعامل مع التوابع والزوابع لابن شهيد وتعدد روافدها"، مجلة دراسات أندلسية، (تونس)، العدد 18، جوان 1997.

(عبد العزيز)، "البنية القصصية في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي"، مجلة حوليات الجامعة التونسية، (تونس)، العدد 29، سنة 1988

(هاشم)، "المفارقة في رسالة التوابع والزوابع: دراسة نصية"، مجلة جامعة أم القرى، (المملكة العربية السعودية)، الجزء 16، العدد 28، شوال 1424 هجري.

(سيزا)، "المفارقة في النص العربي المعاصر"، مجلة فصول، (مصر)، المجلد 2، العدد 2، سنة 1982.

(رياض)، الفكاهة في الأدب الأندلسي، ط. 1، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية، 1998.

(هومن)، "رسالة التوابع والزوابع في ضوء الفن القصصي المعاصرة"، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، (إيران)، العدد 5، سنة 2009.

المراجع الأجنبية

36. Berrendonner (Alain): *Elément de pragmatique linguistique*, Ed. Minuit, Paris, 1982.
37. Schoentjes (Pierre): *Poétique de l'ironie*, Ed. du Seuil, Paris, 2001.
38. Hoek (Loe): *La marque du titre: dispositifs sémiotiques d'une pratique textuelle*, Ed. La Haye mouton, Paris, 1981.

هذا الكِتَاب

اغتنت هذه الورشة الرابعة بأبحاث قيمة تعتبر من جهة أولى إضافة كمية إلى التراكم الذي تحقق مع الورشات الثلاث السابقة، كما تعتبر من جهة ثانية طفرة نوعية متميزة، ذلك أنها فتحت للبحث في الضحك والمضحك آفاقا جديدة، وجعلته يرتاد أصقاعا غير معهودة، ويتسرب إلى نصوص متباينة في الفكر والثقافة والأدب، الشيء الذي يعزز من جديد كلية الحضور omniprésence التي يتميز بها والسلطة الشاملة omnipotence والجبروت الذي يمارسه على مستويات كثيرة.

فعلى مستوى الأجناس الأدبية، قاربت هذه الأبحاث المضحك والسخرية في الرواية والخطب والرسائل، وفي شعر المجون والهجاء، والثقافة الشعبية، ولدى اليهود المغاربة، وفي بعض الأشكال الماقبل مسرحية. وشكل الضحك بآعتباره سلطة وفي علاقته بالسلطة القائمة موضوعا لأبحاث متعددة تسعى في عمومها للبحث في هذا السلاح الثقافي الذي يشهر بين الحين والآخر في وجه سلطة الهيمنة وضدا على قيم الزيف والرداءة.

وإضافة إلى المستويات المتعلقة بمقاربة النصوص والتحليل المحايث لها، تعززت هذه الورشة بأبحاث جديدة اهتمت بالجانب التواصلي للمضحك، والجانب الديداكتيكي وحضور الهزل في الكتاب المدرسي، والجانب المصطلحي المتعلق بمراتب الضحك ودلالاته، والجانب الفونولوجي الذي يبحث في خصوصية المنظومات الصوتية المضحكة وطريقة آشتغالها. وفي نقد الترجمة نقف على طرائف المترجمين وأوهامهم الترجمية وزلاتهم المضحكة، الشيء الذي يعزز القول بأن خطاب المضحك يؤدي وظيفة ميتا-لغوية على مستوى المقول والمكتوب والمترجم، غايتها التنبيه إلى مواطن الخلل بغاية التسديد والتقويم.

كما آغتنت هذه الورشة ببحوث رصينة بلغات أجنبية تعبر عن وجهات نظر مغايرة وتشكل إضافة نوعية إلى خطاب الضحك والمضحك.

دار أبي رقراق للطباعة والنشر

الثمن: 55 درهما